الفكر والعلم

لفضيلة الشيخ
صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين أوضح المحدّة وأبان السبيل للمؤمنين فندت بعد نزول القرآن وبيان سيد ولد عدنان واضحة المعالم بينة الركان فالحمد لله الذي هدى وبيَّن والحمد لله الذي أرشد وعلَّم وهو جلّ وعلا وعلا للحمد أهل ولا يعلم حقيقة ذلك إلاّ من رأى الشبهات في هذه الدنيا وما تؤول إليه ورأى كيف تكون منازل السعداء في الآخرة فإنما هي لمن أتى الله بقلب سليم سَلِمَ من الشبهات وسلم من كلاب الشهوات وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين أمَّا بعد: فموضوع هذه المحاضرة بعنوان ((الفكر والعلم)) وإذا ذُكر الفكر فإنه يتبادر غليالذهب ما شاع في هذا العصر مما يسمّى ((الفكر الإسلامي)) و((المفكر الإسلامي)) وهذا الاصطلاح الفكر الإسلامي أو المفكر الإسلامي هذا اصطلاح جديد في تاريخ هذه المة، فإن المة في تاريخها عرفت أنواعًا حن الذين يتكلمون ويكتبون منهم أنهل الإختصاص بالعلم إما المفسر وإما المحدث وإما اللغوي وإما الفقيه وإما المؤرخ أو الأديب أو الفيلسوف أو عالم الإجتماع إلى آخر أنواع العلما والكَبتَبَة في تاريخ الأمة.

أمَّا هذا المصطلح ((فكر إسلامي)) أو ((المفكر الإسلامي)) فإنه اصطلاح جديد ومعلوم عند أهل الشرع والمحبين للعلم وللديانة إنْ المور إنما توزن بالعلم لن العلم نزل من عند الله جلَّ وعلا ليكون حاكمًا على الناس

غير محكوم فإذا ظهرت اصطلاحات أو استجدت أحوال فإن المرجع في فهمها إنما هو إلى العلم فما هذه الصلة التي بين الفكر والعلم وهل هذا الفكر الذي يسمى ((فكرًا إسلاميًا)) هل هو ممدوح كله أو هو مذموم كله وكيف هي الصلة بين الفكر والعلم وبحوث متصلة بذلك من المهمات أن يتعرض لها لنك ترى في هذا الزمن كثر الذين يتكلمون عن الإسلام باسم الفكر ومنهم من عنده أخطأ بسيرة، ومنهم من يسمى ((مفكرًا إسلاميًا)) وإنما هو مفكر ليس باللإسلام وإنما يفكر برأيه وبطريقته وبما يهوى فظهرت مدارس مختلفة في الفكر والتفكير وظهر مفكرون متنوعون وهذا الذي ظهر من الفكر والمفكرين وما يسمى ((بالفكر الإسلامي)) في العصر الحديثظهر ونشأ ولظهوره ونشأته أسباب ومن أعظم أسباب ذلك كثرت الهجوم على الإسلام في العصر الحديث فإن إبتعاد قلب الأمة عن عقيدتها وتاريخها وعن حضارتها وعن ما ضيها وعن مؤهلاتها نشأ في العصر الحديث مع المدِّ الإستعماري والمد الإستعماري كانت له وجهتان وجهة عسكرية وهذه ظهر منها الأستعمار والكُلُ يعلم عن حقيقة ذلك الإستعمار العسكري وله وجهة أخرى وهي الاستعمار الثقافي والتبعية الثقافية حتَّى صار في المسلمين من يكون تابعًا في فهم الإسلام لإعداء الإسلام وأولئك الأعداء تمثلوا في المستشرقين والمستشرقون لهم كتابات متنوعة في تحليل أهداف افسلام وتحليل أحكامه وتحليل آرائه وتحليل تاريخه وتحليل قضاياه إلخ ذلك فقام طائفة في البداية يتكلمون عن تلك المسائل التي طرقها المستشرقون أعداء الملة

وأعـداء الـدين وأعـداء هـذه المة تكلمـوا عنها بنفس منطقهم لأجل أن يقنعـوا النـاس وأن تكـون اللغة بينهم مَتَعارَفَة فلم يـردوا عليهم بـالعلم وإنما ردوا على أفكـار المستشرقين غير الإسلامية بأفكـار مماثلة في الصـيغةت وفي الاسـتنتاج والاسـتدلال والأخذ والعطـاء والمراجع والمصـادر ووسـيلة الإقنـاع حتَّى صـار ذلك فكـرًا مقـابلاً لفكر فظهر الفكر الإستشـراقي وفي المقـاب لظهر فكر آخر سُمِّيَ فيما بعد الفكر الإسـلامي لنه يقابل ذلك الفكر الاسـتعماري الاستشـراقي ولهـذا صـار أول ما نشأ هـذا الفكر ونشأ المفكرون راجعٌ ذلك إلى الدفاع عن الإسلام وإلى رد هجمات المستشرقين وهجمات أعـداء الإسـلام فكل من أرلاد أن يـــــرد وكل من أراد أن يـــــدافع من المثقفين أو من العلمـاء أو ممن عنـده بـدايات علم أو ممن عنـده اطلاع وقـراءة عامة كتب في الـدفاع عن الإسـلام حمية له وبيـان المحاسـنة وردًا على المفتريـات باسم الفكر ليسـوا بعلمـاء ولكنهم كتبـوا هـذه الكتابـات فظهر أنّ هـؤلاء مفكـرون اسـلاميون منهم من تخصص في ذلك حتَّى غـدا ما يكتبه وما يؤلفه في هـذا المضـمار وخصـوا بهـذا الإسم باسم المفكـرين الإسـلاميين وما يكتبونه باسم الفكر الإسـلامي لا شك أنه في هـذا الجيل أيضًـا يعـني في القـرن هـذا القـرن العشـرين أو القـرن الرابع عشر الهجري الذي سلف لا شك أنه ظهرت مشاكل إعلامية مشـاكل من جهة الإلـتزام بالـدين والقناعة به مشـاكل اقتصـادية، شـبهات تتعلق بالسياسـةت شـبهات تتعلق بالاقتصـاد شـبهات تتعلق بتـاريخ الإسـلام شـبهات تتعلق بموقف علمـاء الإسـلام شـبهات تتعلق بالنصـوص

وما مـــدى العمل بـــالنص؟ القواعد وما مـــدى العمل بالقواعد؟ وأصـول الفقه إلى آخر تلك المسـائل فظهـرت مشاكل وشبهات في هذه الأمـور فظهر أولئك المفكـرون ليـدلوا بـدلوهم في بيـان حقيقة ما عليه المة في هـذه العلوم وذلك المضمار فظهـرت كتابـات متنوعة لا شك أن تلك الكتابـات الـتي ظهـرت تتطلب علمًا تتطلب معرفـة، تتطلب ثقافة والجميع لواجتمع لحصلت نتائج سـليمة لكن خـاض غَمْـرَةَ ذلك لقصد نصـرة الإسـلام ولبيـان حقائقه خاضر غمــرة ذلك من ليس عنــده إلاَّ الثقافة أو عنــده بعض المعلومات التاريخية أو عنـده بعض الاطلاع العـام ولكن ليس عنــده علم فظهر في كلامهم صــواب وظهر في كلامهم خطأ كثير فمزجوا الصواب الخطأ وسـبب ذلك الفكر كما ســيأتي إيضــاح ذلك أيضًــا لما خطــرت تلك المــدارس المختلفة الفكرية يعــني من وجهــات النظر المختلفة في علاج مشــاكل المســلمين وفي الــرد على الأعـداء لا شك أنه سيحصل نـوع من التحـزب نـوع من الرجــوع إلى أولئك المفكــرين، فكل من أُعجب بفكــرة عالم، كل من أعجب بفكرة مثقف سـتكون التبعية لـذكل، فظهر بعد ذلك مفركون تبعوا المفكرين الأصليين، أو ظهر فكرٍ يتبع أساســيات تلك الأفكــار حتَّى توســعت الشــقة وحتَّى ابتعـدا طرفا الطريق فتوسع جـدًا وكـثرت الطـرق من أجل كثرة أفكار الذين ابتـدأوا بـذلك الفكر فننظر مثلاً إلى أن أول من دخل في هـذا المضـمار جمـال الـدين الأفغـاني ومحمد عبـده ومن بعـده محمد رشـيد رضا ثم ظهرت الأفكـار في الجـانب الآخر من مثلاً أفكـار عبـاس العقـاد أفكـار وطه حسـين أو أفكـار ... الخ وهـؤلاء كل

بحسب ما عنـده الخط الأول عنـده علم كثـير ولكن لأجل الضعف عن مواجهة الغرب بكل شـيئ صـاغوا أسـاليبهم بأساليب فكرية فظهر عندهم من الأخطاء حتَّى تجـاهلوا أصولاً عظيمة في الإسلام من أصول الغيبيـات ونحو ذلك والطرق الآخر من المدرسة الجديدة ارادت أن تـرد ولكن باسـتخدام لغة المستشـرقين حتَّى غـدا ذلك التـأثير بيِّنًا ظهرت بعد ذلك الجماعـات العاملة الجماعـات الإسـلامية فظهر لكل مدرسة من تلك الجماعـــات من يمثل فكرها بكتابات ففي الباكستان ظهرت هنـاك الجماعة الإسـلامية وظهر لها من يمثل فكرها كـأبي الأعلى المـودودي وفي مصر ظهر من يمثل فكر جماعة الإخوان المسـلمين وفي الشام ظهر وفي المغـرب أو الجزائر ظهر من يمثل الفكر الذي يراد أو لالـذي تبـنى نقل النـاس إلى الإسـلام بفكـرٍ كفكر مالك بن نـــبي ونحو ذلك المقصـــود من هـــذا أنها تنوعت المدارس حتَّى تنوعت الجماعات وتنـوعت الفكـار بسبب تنوع تلك المدارس.

إذًا فلنشأة الفكر أسباب وهـذه بعض أسـبابه ولا شك أن المتأمل لذلك ينظر إلى أن نشـأة الفكر إذًا لم تكن نشـأة على علم وإنما كـــانت نشـــأة عاطفية اندفاعية ليست موصـلة ولا منظمة وإنما كـانت بحسب الحـال دفـاعٌ عن التاريخ دفاع عن العقيدة دفاع عن الإسـلام لكن بطريقة غير مقننة غير منظمة غير موصـلة غـير منضـبطة بالتـالي ظهر كثـير من الكتابـات الـتي تراها اليـوم ممن يسـمون بمفكرين إسلاميين وفي الحقيقة إنما هم مفكرون ليسوا بإسـلاميين لأنهم إنما يفكـرون تـارة بـالنظرة الإشـتراكية وتـارة بـالنظرة الاعتزالية وتـارة بنظـرات مختلفة فنشأ ما

يمسى بـالتنوير والجتهـاد والتطـور والتقـدم حتَّى أتى من المفكـــرين من يـــزعم أنه لا بد من إقامة صـــرح جديد لطريقة العقل والتفكـير والتعامل مع النصـوص لأن تلك إنما تناسب زمنًا مضى وهــذا الــزمن لا بــدَّ له من شــيئ جديد إنه ولا شك انحــراف خطـير عن أصل هــذا الــدين وعن العلم والصحيحح الـذي نـزل به جبريل عليه السـلام من عند رب العـالمين في كتـاب الله جـلّ وعلا وعلا وفي سنة رسوله صلّى الله عليه وسلّم هذا الموضوع الذي هو الفكر والعلم مهم وسبب الاختيـار له أنَّ كثـيرين من طلبة العلم أو من النــاس من المثقفين من الشــباب لا يعــون حقيقة المصــطلح واليعــون أبعــاده ولا يعو ما ينبغي أن يؤخذ به وما ينبغي بل يجب أن يحذر منه من الفكر فكان لا بـدَّ من طـرق هـذا الموضـوع حتَّى تتضح حقيقة الفكر ومن أسباب طرح هذا الموضوع كـثرة الـذين يكتبـون عن الإسلام فكريًا وانتشار كتاباتهم فترى في الصحف كثيرًا ما يكتب أناس هؤلاء يقال عنهم مفكرون إسلاميون وهناك كتابات قديمة من أناس ليسوا بحاضـرين من أمثـال مالك بن نــبي، المــودودي، ســيد قطب، محمد قطب إلخ لهم كتابات وهذه الكتابات تتسم بأنها كتابـات فكرية فما حجم هــذه الكتابــات كيف تــوزن؟ هل تــرد؟ هل تقبــل؟ هل يعتمد عليها أم لا يعتمد عليها أم لا يعتمد عليها ما حدودها؟ هؤلاء المفكرون الذين ذكرت اســماؤهم ومن لم نــذكر اســماؤهم ما مــوقعهم الصــحيح في الأمة وما الذي ينبغي أن يوضعوا فيه في أي إطـار لا شك أنَّ هــذه الأسئلة الجواب عنها مهم ولعله أن يكون في هذه الكلمة أو هذه المحاضرة بعض إجابـات عن ذلك ومن الأسـباب

أيضًا أن ظائفة من المثقفين علت درجاتهم في الثقافة أو توسطت خلطوا بين الفكر والعلم حتى صار الفكر دليلاً حتَّى صار ما يكتبه المفكرون أعظم في القناعة وأعظم في الإتباع مما يكتبه العلماء بل زاد الأمر على ذلك حتَّى سمِّي العلماء بأنهم متأخرون وأن المفكرين هم المتقدمون وهذا لاشك يتطلب بحثًا لهذا الموضوع وتعريفًا للناس بالفكر ماهو؟ وهل يقبل أم لا يقبل؟ إلى آخر ذلك والسبب الرابع لطرح هذا الموضوع أن كثيرًا من قيادات الدعوة وقيادات الجماعات الإسلامية في هذا العصر وهي الجماعات التي سواءًا كانت منظمة أو غير منظمة هي التي يراد منها أن تصلح أوضاع المصحلين وأن تعيد الناس إلى جادة الصواب كثير بل الأكثر من تلك القيادات إنما هي قيادات فكرية وينتج عن تلك القيادات آراء وأنواع من التعامل وينتج عن قياداتهم الفكرية توجيه للشباب في أن يتخذوا الموقف الفلاني وأن لا يتخذوا الموقف الفلاني ودلائل ذلك إنما هو فكر دون علم ومن المسلم به بل من المجمع عليه أن الدليل إنما هو العلم أما الفكر فليس بدليل وإنما هو تلمسٌ كما سيأتي السبب الخامس لطرح هذا الموضوع أن هذا العصر تنوعت فيه أفهام الناس، وتنوعت فيه طرائقهم في التفكير فنتج من ذلك أن خطاب الناس بالفكر مهم وكرح بعض المسائل طرحًا فكريًا في الصُحُف أو في بعض الكتيبات مهم لأن الناس لا يعون لغة العلم ولا يتحمسون للعمل فإذا طرح لهم بأسلوب فكري ثقافي فإن كثيرين من المسلمين يقبلون على ذلك ويرعونه ويهتمون به وتصلهم أفكار وتصلهم أصول بالفكر ربما لا

تصلهم بالعلم لعـدم محبتهم للعلم أو لعـدم إقبـالهم عليه وهـذا يتطلب أن توضع ضـوابط للمفكر وضـوابط للفكر حتَّى يكون إرشادنه للأمة وحتّى تكـون الكتابـات الفكرية منضـبطلة غـير مخالفة لمقتضى العلم ومقتفى الكتـاب والسنة وقواعد الإسلام.

نبدأ أولاً بإيضاح معنى الفكر الإسلامي ما المـراد به ذكرنا أنه مصطلح جديد وإذا كان مصطلحًا جديـدًا فلا بد له أذن من تعريف عرَّفه بعضـهم بقولـه: ((إن الفكر الإسـلامي هو عمل المسلمين العقلي ونتـاجهم الفكـري في سـبيل خدمة الإسلام بيانًا ودفاعًا)) وهذا المعرِّف لهـذا التعريف جعل البيـان من الفكر وجعل الـدفاع من الفكر ويعـني بالبيان العلم فجعل العلم من الفكر لأن بيان الإسلام هو العلم والـدفاع عن الإسـلام هـذا بعض مهمـات الفكر وفسَّر قوله بيانًا بأنه المراد به بيان الإسلام بيـان الأصـول بيـان التفسـير بيـان الحـديث إلى آخـره فجعل العلم من الفكر فهل يصح أن يجعل العلم من الفكر آخر عـــــرَّف الفكر بأنه جمع الشـــــــواهد والأدلة ثم تحليلها لخدمة الإسلام يعني إذا أراد أن يبحث قضية من القضـايا فيجمع لها الشـواهد والأدلة ونعـني بالشـواهد والأدلة ما يشـهد للغاية فالغاية عنـــــــده معلومة فيريد أن يجمع لها من الشـواهد والأدلة ما يصـحح هـذه الغاية حتَّى يـدافع عن الإسـلام أو يـبين محاسن الإسـلام أو ينصر الإسـلام في قضية من قضاياه وهـذا يعـني أيضًـا أنه أدخل العلم في الفكر جمع الشواهد والأدلة ماحده؟ ماهي هذه الأدلـة؟ وما هي هذه الشواهد التي توصل إلى تلك النتيجـة؟! إذًا دلنا ذلك على أن تعريف الفكر بما ذكر ليس منضـبطًا ولا

ثابتًا بل قد يدخل فيه أشياء وقد يخـرج منه أشـياء ماحـدد ذلك مهمـةٌ المفكر ولا ما يتعـرض له ولا مـالا يتعـرض له كيف يصل بفكره إلى النتـائج؟ هل النتيجة هي الأولى أم النتيجة مراده؟ في الواقع أن ذلك لم يضبط ولهذا تجد أن المفكرين كل يورد ماعنده بحسب طريقته فيختلفـون في البداية ويختلفون في النهاية ويختلفـون أيضًـا في وسـائل ذلك كل بحسب مدرسته هل يصح أن يقـال على هـذا إن العلم من الفكر لا شك أن العلم لا يجوز أن يقال إنه فكر إسلامي وقد سُـئل الشـيخ العلامة محمد بن عـثيمين عن هذه الكلمة كلمة (فكر اسلامي) هل يجوز أن تقال فقال الشـيخ حفظه الله كلمة فكر إسـلامي من الألفـاظ الـتي يحذر عنها إذ مقتضاها أننا جعلنا الإسلام عبارة عن أفكار قابلة للأخذ والــرد لن الفكر رأي فــإذا قلنا فكر إســلامي معناه أن الإسلام صار مجموعة أفكار قابلة للأخذ وقالرد قابلة للنقاش قال الشيخ ((وهـذا خطر عظيم أدخله علينا أعداء الإسلام من حيث لا نشـعر)) -وقـال الشـيخ بكر أبو زيد حفظه الله عند هــــــــذه الكلمة في كتابه ((معجم المنـــاهي اللفظية)) ((وكيف يصح أن يكـــون الإســـلام ومصدره الوحي ((فكـرًا))، والفكر هو ما يغـرزه العقـل، فلا يجوز بحال أن يكون الإسلام مظهرًا للفكر الإنسـاني؟ والإسلام الوحي معصوم والفكر ليس معصومًا، وإذا كان بعض الكاتبين- يعني به الأسـتاذ سـيد قطب أدرك الخطأ في هـذا الإصـطلاح فأبدله باصـطلاح آخر هو ((التصـور الإســـلامي)) - وهو في كتـــاب ((خصـــائص التصـــور الإسلامي)) و((مقامات التصور الإسـلامي)) من بـاب رفع آفة بأخرى؛ لأن التصـور مصـدره الفكر المحتمل للصـدق

والكذب)) وهذا الذي قاله الشيخ بكر سديد لأن من رأى بحث خصائص التصور الإسلامي ((مقومات التصور الإسلامي)) وجد أنها تبحث في تحليلات للعقيدة، التوازن، الشمول فيجعل أصولاً عقدية جديدة ويجعل ذلك مزايا التصور كما قال الإسلامي يعني مزايا العقيدة الإسلامية وتلك إنما هي بأفكار لم يسبق إليها كتابها والتصور هو الفكر فرجع الأمر إذًا إلى الحديث عن أصول الإسلام وعن العقيدة وعن مزايا ذلك والحكم والأسرار في أصول فكرية وقوالب تصورية ثقافية ولا شك أن هذا كما قال الشيخ ((رفع آفة بأخرى)) يعني محاولة علاج آفة بإحلال آفةٍ أخرى جديدة والكل راجع إلى أنه فكر، فكر إسلامي كما يعبرون وهو في الحقيقة فكر غير منضبط وليس عندنا ما يسمى فكرًا إسلاميًا يعني ليس عند العلماء ما يجوز أن يقال له فكر إسلامي هل يجوز أن يقال مفكر إسلامي؟ قال الشيخ ابن عثيمني مفكر إسلامي يعني من يفكر ويكون مصدره في التفكير الإسلام وهذا إذا انضبط بالعلم صحَّ لن من فكر بطريقة علمية صحيحة فهو مفكر غسلامي فيصح أن يقال عن منم انضبط بالعلم في التفكير إنه مفكر إسلامي يعني مسلم ذو فكر وهذا الاستعمال صحيح بعضهم اعترض وقال إنَّ هذا الكلام غير منضبط لأن القرآن والسنة فيها الحث على التفكر والحث على النظر وقد جاءت آيات كثيرة في ذلك منها قوله جلّ وعلا وعلا {إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب} {الذي يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا

باطلاً سبحانك} فمدح الله خاصة المؤمنين بأنهم يتفكرون وكذلك قال جلّ وعلا وعلا {أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلاَّ بالحق وأجل مسمى} وقال جلَّ وعلا {قل إنما أعظم بواحدةٍ أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا} وجاء في الحديث أو في الأثر ((اللهم اجعل كلامي ذكرًا وصمتي فكرًا)) ولا شك أن التفكر أمر مطلوبٌ ومستحب أو واجب في بعض الأحيان لأن التفكر ينتج نتيجة عظيمة وهي تعظيم الله جلَّ جلاله وتعظيم ما أنزل على رسوله واتباع الرسل والخوف من الآخرة والرغب في الجنة والحذر من النار منها هذا التفكر الذي جاء في الآيات وفي بعض الأحاديث ((تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات الله فتهلكوا)) هل هذا التفكر هو المقصود بالفكر ننظر إلى ما قاله العلماء في كلمة التفكر لأن من استدل على صحة الفكر بالتفكر نقول هذا استدلال غير صحيح لأنَّ الفكر أو التفكر الذي جاء في هذه الآيات ليس هو الفكر في الشرع وإنما هو تفكر في ءلاء الله ففرق بين الفكر في الشرع التفكر في ءالاء الله، التفكر في ءالاء الله في مخلوقات الله هذا هو المقصود بما
أمر الله جلَّ وعلا به في تلك الآيات.
أمَّا التفكر في الشرع التفكر في أحكامه فإنَّ هذا هو الذي ينتج الفكر وهذا الفكر قد يكون صحيحًا وقد يكون سقيمًا فإن الفكر إذًا الذي يقصد به التفكر في ملكوت الله ولا يقصد به النظر في الآفاق وفي الأنفس وإنما يقصد به النظر في الشرع، والنظر في أدلته والنظر في التاريخ للوصول إلى نتائج معينة وهذا غير الفكر، ولهذا

قال بعض الأدباء وكلامه كلام حسن قال الفكر مقلوب فرك فرك الشيء يفركه فركًا لكن يستعمل الفكر في المعاني وهو فرك الأمور وبحثها طلبًا للوصول إلى حقيقتها وهذا في الحقيقة تعبير صحيح وتعبير جيد.

يخرج بالتفكر والفكر عن المدلول العصري الاصطلاحي في قولهم فكر الإسلامي إذا إذا كان التفكر إنما هو في الملكونت التفكر في آلاء الله التفكر في الأنفس للوصول إلى نتيجة تُقَوي الإيمان وتعظم في العبد تعظيمه لله جلَّ وعلا وخوفه منه ورجاء ثوابه والخوف من عقابه والقرب من جنته والحذر والبعد من عذابه وناره فإن هذا يخالف ما يسمى بالفكر والفكر في الحقيقة في الإصطلاح الجديد هذا إنما هو الرأي لأننا عندنا في الشرع أدلة دلت على النهي عن الرأي، فما هذا الرأي الذي حذرت منه الأدلة هو في الحقيقة هو الفكر لأنَّ الرأي مصدره العقل يرى رأيًا ومعلوم أن الرأي يكون بعد ترو فيرى بعد التروي وهذا في الحقيقة هو الفكر لأنه أي بعد التروي أو صدر فكرًا أو قال فكرًا بعد أن فكَّر فالرأي والفكر متقاربان ولهذا جاء في النصوص النهي عن الرأي وجاء في كلام الصحابة والتابعين كما سيأتي الفكر إذن رأي وهذا أمر واضح لأنه ناتجٌ عن تصرف العقل وتفكير العقل وهكذا الرأي ناتج عن تصرف العقل وتفكير العقل، الرأي في تاريخ الإسلام انتج لنا أشياء كثيرة انتج لنا الرأي أراء جديدة في العقيدة انتج لنا الرأي أراء جديدة في أصول الفقه انتج لنا الرأي أراء جديدة في الحديث وما يقبل منه وما يرد والأحاد وغير الآحاد والمتواتر وغير المتواتر والقطعي والظني إلى آخر ذلك

انتج لنا ألاءا جديـدة في المصـالح والمفاسد حتَّى قـال بعضـهم حيث وجـدت المصـلحة فثم شـرع الله وقلب الحقيقة برأيه والحقيقة أنه حيث وجد الشـــــــــرع فثم المصلحة لأن المصلحة مفـرزة من الشـرع وليس الشـرع مفرزًا من المصلحة، فالشـرع هو الأسـاس وعن الشـرع تنتج المصالح وتدرأ المفاسد. بالرأي ظهرت أراء سياسـية متنوعة غير السياسة الشرعية سياسات يتبع فيها أصـحابها ما يـرون كما قـال شـيخ الإسـلام ابن تيمية ظهـرت السياسـات المَلِكِيَّة والسياسـات الأماراتية وظهـرت السياسـات العقلية وظهـرت السياسـات الفلسـفية... إلى آخـره فكل يسـوس برأيـه، فجعلـوا أن هـذه المفـرزات جميعًا صحيحة وإسـلامية ومرجعها إلى الشـرع أصـحابها في الواقع أهل رأي تمسكوا بقواعد تمسكوا بأشـياء من المتشـابه ونتجـوا عنها بتصـرفاتهم وأفكـارهم وهـذا في الحقيقة هو الـذي انتج لنا الـرأي وهو الـذي انتج بعد ذلك الفكر إذ أنَّ الفكر فيما تـرون في الـوقت الحاضر انتج لنا فكرًا عقائديًا تُكلِّم في العقائـدد من منطلق فكـري فمن منظلق نظر فقيمت بعض الإتجاهـــــات العقدية تقييمًا فكريًا فبعضـهم قـال إن المعتزلة هم القـوم وأن أهل الحديث ليسوا بشيئ لِمَ؟ بموازنات فكرية فرجحوا عقيدة على عقيـدة بمعطيـات فكرية فـأين الـدلائل؟ أين النصـوص؟ أين ما يـدل على ذلك إنما هو الـرأي المجـرد وكذلك رُجِّحَت أنواع من الساسة في الدول وسوَّغ بعض النـاس من المفكـرين لبعض الـدول أنواعًا من التعامل وأنواعًا من التصـرفات بـالفكر والـرأي وهـذا لا شك أنه خطر عظيم وانحـراف جسـيم جـاء في الأمة نتيجة

لمفكرين نتيجة لأقوال فكرية وتضخم ذلك وتضـخم حتّى غدت الأقوال والفرق والإختلافـات كثـيرة لهـذا يجب علينا أن نصـبغ لـدلائل الشـرع العظيمة الـتي تنهى عن الـرأي مقالات الإسـلاميين إن الـرأي في دين الله مـذموم إلاَّ إذا كان عن مسائل الإجتهاد في مسائل الإجتهـاد ممن كـانت عنده آلات الاسـتنباط والاجتهـاد يعـني أن من رأي رأيًا أو قاس قياسًـا أو ظهر بأفكـار وهـذا عنـده لأجل تمكنه من آلات الاسـتنبطا والاجتهـاد فهـذا مقبـول منه أما أن يـرى والرأي ويصدر الفكر والأحكـام من ليس عنـده شـيئ إلاَّ أنه قرأ وتثقف وقـال عنـدي ملكة للمطالعة وعنـدي ملكة الاطلاع فهـــذا لا شك أنه لا يقبل بل هو ما جـــاء في النصــوص النهي عنه ومن تلك النصــوص أنَّ عبد الله بن عمرو بن العـاص قـال في الحـديث الـذي رواه البخـاري ومسـلم وغيرهما أن النـبي صـلّى الله عليه وسـلّم قـال: ((إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور العلمـاء ولكن يقبض العلم بموت العلماء حـتى إذا لم يُبْـقِ عالمًا اتخذ الناس رؤوسًـا جُهَّالاً فـأفتوا بغـير علم)) وفي رواية مسلم: ((فأفتوا برأيهم فضلوا وأضلوا)) أفتوا برأيهم يعني حكموا على الأمـور وعلى الأحـوال وعلى ما عنـدهم مما يحتاج إلى حكم بالرأي يعـني بـالفكر والـرأي والفكر هما شيءٌ واحد فضـلوا وأضـلوا ومن ذلك حـديث ابن عبـاس الـذي رواه أبو داود والنسـائي وحسـنه الحافظ ابن حجر أنّ النـبي صـلّى الله عليه وسـلّم قـال: ((من قـال في القـــرآن برايه فليتبـــوا مقعـــده من النـــار)) فظهر من المفكـــرين من يتكلم في القـــرآن برأيه ويجعل بعض المعطيات الفكرية أو النتائج هي من دلالات القرآن حـتى

جعل من دلالات القـــرآن والعيـــاذ بالله أمر مجمع كل بطلانه ولم يقل به أحد من أهل العلم، بل جعل من دلالات القرآن ما يدل على عقائد فاسـدة أو ما يـدل على آراء الأدلة والقواعد تقضي عليها من أُسِّـــها والأدلة في ذلاك في السنة كثيررة ومما جـاء علن الصـحابة في ذلك قــول عمر وهو قــول عظيم قــال رضي اللّٰه عنــه: ((إنّ أضــحاب الــرأي أعــداء الســنن أعــتيتهم الأحــاديث أنْ يحفظوها والسنن أنْ يتفهموها فعارضـوا السـنن بـرأيهم فإياك وإيـاهم)) وفي طريق أخـرى قـال رضي اللّٰه عنـه: ((فقـالوا بـالرأي فضـلوا وأضـلوا)) وهـذا الـذي قاله عمر منطبق تماما على بعض أنواع الفكر يعني الفكر الـذي لا دليل عليه أو الفكر الـذي يصـدم أصـولاً فيكـون اسـتدلال أصــحابه بالمشــتبهات لا بالأصــول العلمية فتنتج عن ذلك أنهم قالوا بالفكر قالوا بالرأي فضـلوا فعلا وأضـلوا وهـذا ظــاهري مــدارس كثــيرة تراها اليــوم في كثــير من بلاد المسـلمين، فـإذا نظت مثلا إلى فكر بعض الكُتّـاب الـذين تكلموا في أشياء من طريق الرأي وجدت أنه تفــرع ونشأ عنهم مدرسة مثل مثلا مالك بن نـــــبي في الجزائر نتجت عنه مدرسة مالك بن نبي نتائج فكـره قـامت عليها دعـوة بعد ذلك تــأثر به راشد الغنوشي المعــروف زعيم الحركة الإسلامية في تونس -كما يقال- وهذا حـال حركة لا تعي السنن ولا تعي العلم وإنما هي معطيات فكرية حـتى إنه قــال في يــوم من الأيــام حينما سـئل عن مطـالبكم في تونس قال: مطالبنا أنْ يحكّم الشعب، قـالوا: فـإذا اختـار الشعب الديمقراطية، قال: ليس عنـدنا مـانع، فـإذا اختـار

الشعب الديمقراطية فإننا نختار ذلك لكن لا يجبر الشـعب على اختيار لا يريده.
هذا فهم للإسـلام وإن كـان ذلك عليه من قبله وهو أيضا عنده شبه في ذلك لكنه عطـاء فكـري مـارد ليس له من الإسلام نصـيب وتبـني هـذا دعـوة تبنته دعـوة تبنت هـذه الـدعوة مواقف وتحليلات سـواء في داخل بلادها أو في خارجها كل ذلك نتاج مفكر أو نتـاج فكر سـابق كـذلك في مصر تـــرى أنّ كثـــيرا من المواقف والمقـــررات مثل في انتشار الجماعات المختلفة بعد دعوة الإخـوان المسـلمين والجيـوب الـتي حصـلت في الجماعة واختلاف الآراء فيها كانت نتاج كلام فكـري قاله بعض المفكـرين وتبـنى هـذا الكلام أنـاس فنشـأت جماعـات ثم تبـنى أفكـار أخـرى جماعات أخر فكثرت الجماعـات حـتى إنه يقـال إنّ اليـوم بمصر نحو مائة جماعة أو اسم أو قـــــريب من ذلك ربما للمبالغ والتكثير وهـذا نتـاج الفكر وبأتينا أنّ الفكر مفـرق، الفكر لا يجمـع، الفكر يفـرق النـاس لأنه إذا كـان عنـدي أفكار فلابد أنْ يكـون ثمّ من يقتنع بهـذه الأفكـار فيكـون هناك تفرق في المة هـؤلاء يقتنعـون بهـذا الفكر والفكر ليس مصـــــدرا عقليا وليست نتاجا عقليا والغاية عقلية بل يتبعه عمل ولهذا في كتابات مثلا سـيد قطب المتـأخرة بل وفي كتبـاه ((في ظلال القـرآن)) نتجت هنـاك جماعـات تتبــنى أفكــاره الــتي قاله في نحو كتــاب ((معــالم في الطريق)) أو في نحو كتـــــاب ((خصـــــائص التصـــــور الإســـــلامي)) ونحو ذلك مما فيه انحـــــراف عن قواعد الإسلام وعن أصول هذا الدين، نشأت جماعـات الخ تبنت

هذه الجماعات مواقف الخ وكل له تبريراته وكل له فكره لكن العلم ليس متصلا بذلك، بل العلم من ذلك براء.
ننتقل إلى نقطة أخـــرى، الفكر ما مصـــدره؟ يعـــني إذا نظرت في كتابات المفكر ماذا يعتمد عليه حـتى يكتب؟ ما دلائلـه؟ ما مصـادر الفكر عنـده؟ متنوعة ومتعـددة، لكن يمكن أنْ نـــــذكر منها أولا: الثقافة العامة المجموعة مما علق بذهن ذلك المفكر أو مرّ عليه من أدلة الشرع وكلام يعفى الســـــــايقين، وثقافته التاريخية والواقع السياسي ونفسـية الكـاتب إلخ يعـني أشـياء مجموعة ثقافية واقع تاريخي، قصة تتاريخية هذا مصدر من مصادر الفكر فـإذا نظـــرت في كتابـــات المفكر أي مفكر تشـــاء لا تجد أنه يستدل بأمر خـارج عن الكلام الإسـلامي ولـذلك قيل عنه إنه مفكر إســلامي، لكن هــذا الكلام الــذي يســتدل به ويجعله من مصـادره هل هو مسـتقيم في نفسه يعـني صـحيح في نفسه غـير معـارض أم أنه أدلة لكنها تـدخل في المتشـابه كثـيرا من الأحيـان في الواقع أنك تجد أدلة بعضهم يكتب ويبدأ كلامه التفكـير الإسـلامي كما يقولـون بقاعدة من القواعد هـذه القاعـدة صـحيحة ويفـرع عنها ويبدأ ويتخذ الوسائل ويصل إلى الغاية والأحكـام والعلاج إلخ منطلقً من ذلك و:كأنه ليس في تقـييم ذلك الوضع أو في علاج هذه النقطة أو في علاج تلك المشكلة إلاّ هـذه القاعدة يـذكر مسـألة أصـولية يتعامل في المسـألة بنص واحدٍ أو يذكر ثقافة أو يكـون عنـده عاطفة من العواطف فيتكلم من منطلق هـــذه العاطفة يـــرى مثلا ما حـــلّ بالمســلمين من نكبــات وما يمارسه عــدو الإســلام من ضغطٍ على الإسـلام والمسـلمين وإهانة وويلات إلى آخر

ذلك مما هو مشاهد في ميـادين مختلفة فتتعـاظم نفسه ذلك فينتج ذلك إفـرازا هـذا الإفـراز يسـمى إفـراز فكـري وهـذا الإفـراز يصـبغه بالصِـبغة الإسـلامية فيسـتدل بآية ويستدل بحديث ينقل كلام يذكر واقعة تاريخية وهذا يعـدّ أكـبر المصـادر عند المفكـرين فـيرى كثـيرا من النـاس وينظـرون إلى هـذا المقـال أو ذلك الكتـاب فيجد أنّ فيه استدلالاً بآية وفيه استدلال بحديث وفيه استدلال بقاعـدة فيه ذكر لخبر تاريخي، لقصة تاريخية فـيرى أنّ ذلك الفكر صـحيح وأنّ ما نتج إليه كـان صـحيحا ويفعِم ذلك بعاطفة قوية وعبارة جيّاشة وأسـلوب أدبي قـوي فيقتنع كثـير من الناس بذلك وهذا من المصادر المهمة عندهم وهي التي يجب أن يكون طالب العلم منها على حذر لأنه كما سيأتي هنـاك فـرق بين المحكم والمتشـابه فأما الأدلة من حيث هي والاسـتدلال فهـذا يمكن أنْ تسـتدل على المسـائل المخالفة للـدين ببعض ما جـاء في القـرآن مثلا اسـتدل النصارى على نصـوص بعثة النـبي صـلّى اللّٰه عليه وسـلّم للعرب بقوله جلّ وعلا: {وأنذر عشيرتك الأقربين} وفرعوا على ذلك منهم من أباح الخمر واستدل على ذلك بـالقرآن قال جلّ وعلا: {ليس على الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وءامنوا وعملوا الصـالحات} وهـذا أمر ولم يحـرم لأنه قـال: {لعلكم تفلحـون} في إفرازات كثيرة كما ذكر ذلك الشـاطبي في ((الموافقـات)) حيث قال: ((ليس ثمَّ صاحب رأي إلاّ ويجد في الشرع من المتشابه ما يدل على رأيه)) وهذه عمـدة أهل الفكر في الـوقت الحاضر يجـدون من المتشـابه من كلام اللّٰه جـلّ وعلا وكلام رسـوله صـلّى اللّٰه عليه وسـلّم وربما بعض

كلام أهل العلم أو الوقـــــائع التاريخية إلى آخر ذلك ما يستدلون به فيجعلـون أحكاما وأحـوالا بل ربما أنـواع من التعامل ولانتـــائج مبنية على تلك المصـــادر الـــتي هي مجموع الثقافة العامة لدى المفكر.

الثاني من المصادر عند المفكرين الإسلاميّين: نظرة الكاتب إلى الواقع وكيفية علاج ذلك الواقع وهــذا يتنــوع بحسب نشــأة ذلك الكــاتب ومدرســته فمثلا تــرى أنّ أبا الأعلى المودودي في الباكستان طرحُهُ الفكري يختلف تماما عن طـرح مالك بن نـبي في الغـرب لمَ؟ لأنّ ذاك نشأ نشـأة معينة والآخر نشا نشـــأة أخـــرى فـــذاك متـــأثر بكلام المستشـــرقين وبالدراســـات الاستشـــراقية وبفرنسا إلخ، فنظر بمنظـور آخر وأبو الأعلى المـودودي نـاتج من رأيه في كيفية الإصـــلاح الواقع وكيف ننهض بالمســـلمين... مصدر من مصادر الأفكـار المدرسة إذا نظـرت في جـانب آخر في جــانب المنحــرفين جــدا بعضــهم عــاش في الاشــتراكية زمنا طــويلا مثلا مثلا الــدكتور محمد عمــارة وعاش في ذلك وعاش فلما رجع وكتب كتابـات إسـلامية وبســمى اليــوم -نســأل الله العافية والســلامة- مفكــرا إسلاميًا وله آراء وآراء وبعض الناس يتبناها وتكتب حــتى في صــحفنا تجد أنه ينبثق من ذلك الماضي الــذي عاشه فله أفكار متعلقة في ذلك فإذا كتب عن التنوير أو التقــدم أو التطـور وكيفية صـياغة العقلية فإنما يرجع إلى معانـاة سـابقة وينتج ما عنـده من الأفكـار بحسب ما عنـده، دون الرجــوع إلى الأصل الأصــيل لأنه لم يــدرس ذلك أو لأنّ حياته تقلبت في أدوار مختلفة إذا نظرت إلى الذين اعتنــوا

بالاستشـــراق وذهبــوا ودرســوا في الغــرب وواجهــوا المستشــرقين في مــؤتمرات إلخ وتكلمــوا عن الإســلام بنظرة فكرية لكن بإحساس هجوم الغرب على الإســلام مثل الشيخ محمد الغزالي في كتاباته، ضعف نفسي أمام أطروحـــات المستشـــرقين وعيبهم في الإســـلام وهـــذا الضعف النفسي أراد أنْ يـبرر أنّ الإسـلام صـحيح وأن ما عنـدنا هو الصـحيح حـتى لو أخذ قـولا شـاذا من أقـوال العلمـــاء أو اســـتدل بواقعة أو هـــدم إجـــدماعا من الإجماعـــات المقصـــود أنْ يظهر الإســـلام قويا أمـــام الاستشـــراق هـــذا وضع نفسي خـــاص يُنتج أنواعا من التفكيرات وأنواعا من الأطروحات التي يقدمها المفكرون كـذلك في الفن كـذلك في المبـاحث اللغوية والأدب إلخ هناك أنماط من التفكـير ومصـادر الفكر تكـون واقع ذلك الشخص وحياته التي عاشها والشيء الذي اهتم به، إذن فيكـون الفكر أبـتر لأنّ ذلك المفكر ينظر من واقعه ينظر فيما عانـاه فيريد أنْ يخـرج بنتـائج هي في الواقع لا تحل شـيئا وإنما هي تقنع وتحل المشـكلة الـتي عنـده، لكن لا تحل مشكلة المسلمين إلاّ إذا تصـور أولئك أنّ كل مسـلم عنده نفس المشكلة الـتي عند ذلك الكـاتب وهـذا لا شك أنه لا يقوله أحد.

من المصادر ايضا تتابع المدارس، الكتّـاب الـذين قـرأ لهم المفكر فتجد أنّ من الناس اليوم من يكتب كتابـات فكرية متـــأثرا مثلا بمدرسة ســـيد قطب الفكرية أومنهم يكتب كتابـات فكرية متـأثرا بمدرسة المـودودي الفكرية ومنهم من يكتب كتابـات فكرية متمـأثرا بمدرسة مالك بن نـبي، متـأثرا بمدرسة محمد قطب متـأثرا بمدرسة محمد البهي،

أنور الجندي إليخ الذي يكتبون في تلك المجالات تتنوع المدارس وتبدأ يكون من المصادر الدراسات القديمة من المصادر الأفكار القديمة ولا شك أن هذا يُحدِث انحرافا بعد انحراف لأنّ فكر الثاني يكون توسعة لفكر الأول فإذا كان فكر الأول غير منضبط بضابط الشرع فإنه يكون هناك خللٌ في النتائج وانحراف عن اصل الإسلام نصل إلى سؤال مهم وهو هل الفكر كله مذموم؟ متى تذم الكتابات الفكرية؟ ومتى لا تذم؟ ومتى تقبل ومتى لا تقبل؟ نرى كما ذكرت في المقدمة أنّ الفكر والكتابات الفكرية في هذا الزمان مهمة ولا شك ولها فوائد لكن متى ما انضبطت بضوابط الشرع متى ما قام أصحابها عليها بنظر صحيح متأمل رعوا فيه حق العلم وصاغوا ذلك بقوالب فكرية ونقاشات يقتنع بها لاناس نعم لغة العلم عزيزة لغة العلم لا يفهما كل أحد اعتاد الناس في هذا الزمن على المقالات في الجرائد ولامجلات اعتادوا على الكتب الصغيرة كتب الجيب التي يأخذ منها فكرة مدللة بقناعات سطحية متنوعة بأسلوب جذاب فيحدث قناعات كثيرة عند الناس هل نلغي الفكر؟ نلغي الكتابات الفكرية؟ الجواب ليس الأمر كذلك لابدّ أنْ يكون هناك من يقوم بهذه الكتابات الفكرية لكن على الضابط الشرعي الذي سنذكره أو نعرض له فيما يأتي إنْ شاء الله تعالى.

من فوائد الكتابات الفكرية في هذا الزمن.

أولا: أنْ يخاطب الناس باللغة التي يفهمونها لو نظر احدكم إلى طالب علم يدخل إلى البيت ويكلم بعض

المثقفين مثلا عنـده أخ دارس دراسة مثلا مدنية أو عنـده أخ يسـافر كثـيرا أو تـاجر أو قـريب لـه... الخ فإنه قد لا يستجيب للغة العلم قد لا يفهم مدلولات لغة العلم فهؤلاء لابـدّ أنْ يوضح لهم الإسـلام وأصـول الإسـلام وقواعد الإسلام وما عليه أهل الإسلام وعقيدة أهل السنة...
من الناس مثلا من يكون عنده الاستشهاد بواقعة تاريخية أعظم في التأثر من أنْ تستشهد له بحديث إذا أظهـرت له تناقضا بين موقفين تناقضًا في حالتين يكـون عنـده أكـثر إقنـاع مما لو أتيته بكلام عـالم من أهل العلم، العقـول مختلفة فـإذًا لابـدّ أنْ تخـاطب النـاس بما يفهمـون وبما يعقلون ومخاطبة الناس بما يفهمون وتحديث النـاس بما يعقلـون هـذا لا شك انه من المطـالب الـتي يـدخل فيها التحـدث مع النـاس بـالفكر لكن أي فكر هو الفكر الـذي كـان العلم عليه حَكَمًا ولم يكن حاكمًا على العلم، الفكر الذي صدقه أهل العلم وصدقه النص والقواعد الشرعية.
ثانيا: أننا نحتاج في هذا الزمن لا شك إلى الرد على الأعداء، الرد على أهل الخصومات في الإسلام وللإسلام الشـبّه كـثرت والآراء كـثرت فلابـدّ من أطروحـات مقابلة وهـذه الأطروحـات إنْ كـانت بصـيغة علمية لا تناسب كل الطوائف وكل الفئات فإنْ كانت فكرية قُبلت ولهذا نرى أنه من الحاجة أنْ يكون ثمَّ كتابات فكرية لكن كتابـات فكرية صحيحة وهذه الكتابات بشرطها الذي سياتي وأعظمه أنْ يكـون العلم حكما عليها وليست منفصـلة ولا بعيـدة عن العلم هذا في جانب الفوائد.

في جانب المضار، هل الكتابات الفكرية التي قرأنا منها ورأينا منها القديمة ولاحديثة هل هذه سلمت من المضار؟

الجواب بل إنها حوت مضارا عظيمة وأخطارا متنوعة فمن ذلك وهو أعظمه أنها أحـدثت أجيـالاً تفكر دون اعتمـاد على العلم والمة لا تعرف إلاّ أنْ يكون العلم هو الأصـل، فالأمة مرتبطة بالعلمـاء منذ عهد الصـحابة بل حـتى في حياة النبي عليه الصلاة والسلام قال الله جـلّ وعلا: {وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعـوا به ولو ردوه إلى الرسـول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الـذين يسـتنبطونه منهم} قـال المفسـرون أولـوا الأمر هنا هنم الـذي يستنبطون وهم أهل العلم فالأمة مرتبطة بعلمائها أجيال الناس مرتبطة بأهل العلم، يأتي في هذا الزمـان إحـداث لمصـطلح فكر إسـلامي ويقـوم عليه أنـاس يسـمون مفكرين إسلاميين هذا أحدث أجيالاً من النـاس قنـاعتهم فكرية لا يعـون العلم ولا يرضـخون للعلن ولا يحكمهم العلم إنما يحكمهم الفكر إذا فكـروا فإنما هو بمعطيـات فكرية، وإذا تناقض أحدٌ معهم فإنما يقتنعون بالفكر دون غـيره فـإذا تكلم مفكر بألفـاظ جذابة بألفـاظ فضفاضة بثياب واسـعة فإنه يقتنع وإذا أتـاهم بمصـطلحات جديـدة اقتنعـوا فـأتت المصـطلحات الجديـدة، الخـروج من الـذل الرجـوع إلى الإسـرلام إنما هو بتحـديث فهم النصـوص الرجوع إلى الإسلام إنما هو بالتطويل بفتح باب الاجتهاد، إنما هو بالتنوير إنما هو بالتقدم في النظرة إلى النصوص إنما هو بـالنظرة الفلسـفية العامة بتقـديم العقل بالعقلانيـة... إلخ ذلك وهـذه كلها إفـرازات لكتابـات

المفكرين لأنه في القرن الأخير يعني في القرن الثالث عشر ما كان يعرف أنّ ثمت مشكلة لا يرجع فيها إلى أهل العلم إنما كان الرجوع إلى أهل العلم، الخلاص ينظر إلى كلام أهل العلم، فبدأت هذه المعطيات واحدة تلو الأخرى حتى نشات أجيال تفكر بتفكيرات فكرية حتى قيل عن نبينا المصطفى عليه الصلاة والسلام قيل عنه إنه ((عبقري)) فكتب كاتب ((عبقرية محمد)) وهل النبي عليه الصلاة والسلام كان مفكرا كان من عند نفسه حتى يقال إنه عبقري إنما هو وحي يوحى كما قال جلّ وعلا: {إنْ هو إلاّ وحي يوحى} فظهر استقلال في الفكر وأجيال تتعامل مع الألفاظ مع النصوص بمجرد رأيها لا ترجع إلى شيء فحدث هناك مصطلحات مخالفة تُعدِّي على الرسل تُعدِّي على الأنبياء، تُكُلِّم بكلام إنما هو نتاج الفكر حتى تكلم في الصحابة فحللت تصرفات بعض الصحابة، حللت الخلافة حتى قال بعضهم إنّ الخلافة الإسلامية لم تعرف الإجتماع إلاّ في عهد أبي بكر وعمر ومنذ عهد عثمان إلى يومنا هذا حدث الخلاف في الأمة والتفرق والدماء والتطاحن فإلى شيء يُدعى في النصوص فلابدّ أنْ يكون هناك اشياء فكرية تجمع الناس على معطيات جديدة ليس هي المعطيات السابقة لأنّ النظر في النصوص فرق المة والعياذ بالله وهذا لا شكّ انه يعني في الجانب الآخر الغالب خروج الديانة وابتغاء لغير سبيل المؤمنين.

من المضار العظيمة أيضا أنّ الأمة تفرقت وإذا نظرت إلى هذه الأشياء التي ذكرنا وبداية نشأة الجماعات الإسلامية

في القـرن الماضي وكيف أنّ نتـاج هـذه الجماعـات كـان فكريا؟ وكيف بنيت جماعات وفئات على الفكر نظـرت أنّ التفرق يكون بحسب زيـادة الفكر فكلما ازداد المفكـرون ازداد التفــرق وكلما ازدادت الأطروحــات الفكرية كــثرت الآراء الجديدة وكثر التفرق وهـذه لا شك مضـرة عظيمة لأنّ الفرقة عــذاب تكما قــال عليه الصــلاة والســلام: ((الجماعة رحمة والفرقة عـــــذاب)) والمة إنما يجمعها العلم والفكر مفــرق الثقافة تفــرق إذا لم تكن منطوية تحت لـواء العلم، والعلم هو الـذي يجمع العلم هو الـذي يقل معه التفـــرق والاختلاف ويســـوجد االاختلاف لأنّ الاختلاف في فهم النصـوص هـذا موجـود ولكنه يكـون قليلا، أما هـذا الـذي تـراه أفكـار مختلفة كل واحد عنـده طرح غريب حتى إنه غدا من آثـار الفكر أنْ يقـال لا فـرق بين الســنة والرافضة إلاّ فغي مســائل قليلة لابــدّ من الالتقــاء حــتى إنه يمـدح رؤوس الضـلال ويحجج فكرية لماذا تمدح رؤوس الضلال من مثل الخميني وغيره مدحه بعض المفكرين الإسلاميين لمـاذا؟ قـال بكلام فكـري لا حاصل وراءه حاصـــله أنه لابد أنْ تجتمع الأمة للهجـــوم على المسـتعمر للهجـوم على الـدول الكـافرة إلى آخـره وهل هـذه مصـلحة شـرعية أنْ تجتمع مع كل أحد حـتى ولو كـان هو الـذي يطعن في عقيـدة الأمة ويطعن في أصول أهل السـنة لا شـكّ انّه كلام فكـري تبنته جماعـات وتبنته فئـات حـتى في زماننا هـذا وحـتى في بلادنا هـذه هناك من يقول بمثل ذلك الكلام.

في الكلمات الفكرية العامة قيل بتصحيح بعض الأوضـاع كلما جـدّ أمر وظهر حـال أو ظهـرت نازلة بالمسـلمين أو

وُجد شيء تعالم معها الكُتّاب هؤلاء من نظر فكري مجرد هذا ينظر إليها من الجهة الفلانية والآخر ينظر من الجهة الأخرى، وتحدث آراء في الأمة جديدة وتتفرق الصفوف لأجل تلك الآراء فالفكر سواء كان قريبا من العلم أو كان بعيدا هو يفرق ما لم يكن العلم حكَما عليه لا شكّ أنّ هذا ضار جدًّا وضرره بين لكم فيما حصل من أنواع التفرقات في الأمة، وتنوع الأقوال والمدارس من مضاره أيضا لأأنه نتج في المفكرين أنْ يصدروا أحكامًا على العقيدة الصحيحة وعلى الفقه الصحيح وعلى أصول الحديث وعلى السنة فأهَّل المفكر نفسه وجعل نفسه أنه مفكر إسلامي أنْ يخوض في كل مسألة حتى في الموازنة بين العقائد فيدخل فيوازن بين العقيدة الفلانية والعقيدة الفلانية بطرح فكري السنة ما يقبل منها وما يرد بعطاء فكري مخالفة بعض الأحاديث للعقل وللفكر يعرض لها وتبث بعطاء فكري إلخ تحليل الدول والوقائع التاريخية كل ذلك بعطاء فكري ولا شك أنّ هذا لا يقبل من أصحابه وسبَّبَ إظهار ووجود جماعات وفئات جديدة وطوائف من الناس تفكر في الحكم على كل شيء أصبحوا أعني أولئك المفكرين أصبحوا حكّاما ومجتهدين فلا يتورعون عن الحكم على أي شيء وعلى أي واقعة ويحللون أي شيء ويعللون ويدللون وتجد أنّ لهم من يساعدهم ومن يأخذ بافكارهم ويتبنى أقوالهم وهذا لا شك أنشأ أنواعا من المضار والانحرافات في الأمة.

والسؤال الآن ما هو واجب المفكرين؟ خطاب لمن يكتب كتابات فكرية ويريد منها نفع الأمة سلمت نيته وطويته

وخشي لقاء الله جلّ وعلا وخـاف عذابه ورغب في جنته وخطـاب أيضا لأولئك الـذين تجـرأوا على كل كتابة فكرية وكل طـرح بمجـرد وجـود مجموعة من الأفكـار والثقافة والاطلاع عند أولئك يجب أولا على الجميع في ذلك
تقوى الله جلّ وعلا وأنّ الكتابة إذا كـانت فكرية فإنه لابـدّ أنْ يستحضر صاحبها الـذي كتبها أنّ هنـاك من سـيقتنع به ومن سـنّ في الإسـلام سـنة حسـنة كـان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سنّ في الإسلام سـنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يـوم القيامة وفي الصـحيح صـحيح مسـلم من حـديث أبي هريـرة أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: ((من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجـــــــور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيء ومن دعا إلى ضلالة كـان عليه من الـوزر مثل أوزار من اتبعه لا ينقص من أوزارهم شيء)) وهـذا أمرٌ عظيم أنْ ينظر الكاتب فيما يكتب والمرء مسئول عما كتب مسـئول عما قـال، فـإذا اعد يـوم القيامة وللسـؤال جوابا وراى منزله أين يحب أنْ يكون فإنه إذا سيتحرى إنْ كان من مريدي الخير ومحبي ربهم جلّ وعلا.
الثاني: الواجب أنْ يخضع الجميع للعلم وأنْ يرفعوا الفكر على العلم، العلم هو قـول الله جـلّ وعلا وقـول رسـوله صلّى الله عليه وسلّم وقول الصحابة قـول أئمة الإسـلام، قواعد الشـرع المرعية وهـذا هو الـذي ينجي وهو الـذي أذن الله جلّ وعلا باتباعه.
أما الفكر فـــإنْ كـــان تابعا للعلم فهو مقبـــول ومنجي وأصـحابه نـاجون وإنْ كـان مخالفا للعلم فأصـحابه على

هلكة فلابـــدّ بل يجب على كل من يكتب كتابة فكرية أنْ يكون رجاعا إلى العلم وأنْ يكون العلم حكما عليه وهذا يكـــــــون بمراجعة أهل العلم لما يكتبه من يريد الكتابة الفكرية العامة فإنه قد يستنتج استنتاجات غير صحيحة وقد يستدل بأدلة غير محكمة أو معارضة أو فهمها على غير فهمها أو نظر فيها على غير الصحيح قد يُستدل بواقعة تاريخية والتاريخ ليس حجة وقد يستدل بفعل بعض العلماء في الزمن الماضي وفعل بعض العلماء ليس بحجة إلخ ذلك من الذي يزن هذه الأمور من الذي يزن الصحيح من ذلك بما ليس بصحيح إنما هم أهل العلم فمن أراد كتابة فكرية يريد بها نفع الناس ومخاطبة الناس بما يفهمون ((حدثوا الناس بما يعقلون)) من أراد ذلك فعليه أنْ يجعل العلم حكمًا ويجعل أهل العلم مراجعين لكلامه ولكتاباته حتى تكون نافعة غير ضارة ولا مخالفة قواعد الشـــرع كل ذلك بعرضـــها على أهل العلم وأهل الشأن.

الثالث: أنْ لا يدخل المفكر في كل شيء أنْ لا يكون مجتهدًا يظن نفسه أنه بما عنده من المعلومات والثقافة وحسن الأسلوب يخوض في كل أمر فيعرف حده فما حدّ الفكر الذي يخوض فيه؟ ما هو الذي يجوز له من ذلك؟ لا يجوز له أنْ يكون مجتهدا حكما على العقيدة، حكما على الفقه حكما على الحـــــــــديث حكما على الأحاديث من حيث ثبوتها وعدم ثبوتها من حيث ما يقبل وما لا يقبل حكم في المســـائل الفقهية حكم في قواعد الشرع، حكم في التاريخ، حكم على العلماء حكم على

الفئـات، حكم على الجماعـات حكم على وجهـات النظـر، لأنّ المفكر إنما يعــرض رأيــه، والــرأي إذا لم لم يكن مســتندا إلى أدلة صــحيحة في العلم والشــرع فإنه رأي والـراي كما قلنا مـذموم إلاّ ما وافق فيه أصـحابه الشـرع فإذا لابدّ أنْ يعلم المفكر حـدوده في أي شـيء يتلكم ما حدود الكلام، وإذا عرف حدوده وأنّ الفكر يخدم الأمة إذا كان في بيان محاسن دينها إذا كان في وسـيلة يقظتها إذا كــان في تصــحيح عقولها من الخرافــات، إذا كــان في تثقيفهـا، إذا كـان في أخـذها بوسـائل الحضـارة وتفهيمها أصـولا ألفـاظ معطيـات جديـدة فيريد أنْ يعرضـها للأمة بصــيغة فكرية هــذا لا شك أنه يخــدم يحلل يكتب عن تحليلات لخـبر أو لحادثة تاريخية أو لحـوادث من السـيرة فتكون بعد ذلك معروضة على أهل العلم، هـذه الحـدود لا شك أنّه يحتاجها النــاس ويحتاجها طوائف من الشــباب والكبــار ومن المثقفين وغــير المثقفين لأجل أنْ يُبــان للناس حقيقة هذا الدين بما يناسب أهل العصر.

الرابع مما يجب على المفكرين أنْ يحرصوا أنْ لا يفرقوا الأمة وأنْ لا يحـدثوا حـدَثا فيها فكل ما حـدثت معطيـات فكرية جديدة وألفاظ اصـطلاحية جديـدة تنـوير تقـدم إلخ يتبعها أنـاس وهـذا يفـرق الأمة لو اسـتعمل المسـتعمل ألفـاظ فكرية يستعملها غير الإسلاميين من أصحاب تلك الألفـاظ فإنه يوقع النـــاس في شك ويوقع النـــاس في تبعية ومراجعة لتلك الأفكار فتلك الأفكار يجب أنْ لا يدعى إليها وتلك الأفكـــار يجب أنْ لا يؤخذ بها لأنّ الأخذ بها تفريق للأمة، فإنما يؤخذ بالفكر كما ذكرنا الذي يجمع الأمة وهو

ما وافق العلم أما الفكر الذي يفرق الأمة فإنه مـذموم إذ الواجب أنْ تجمع الأمة على ما اجتمع عليه سلفها الصالح وعلى ما اجتمع عليه الرعيل الأول من وحـــدة العقيـــدة ووحدة التلقي للنصوص ووحدة التفكير وهذا غنما يكون بالرجوع إلى العلم وبالتربية وبالعرض العلمي.

أيضا وهو الأخـير أنْ لا يغـتر المفكـرون بأنفسـهم فربما رأى المفكر أنه ربى وفـاق وارتفع عن أنْ يكـون منقـودًا فيظنّ في نفسه أنه مؤهل بأن تكون كلمته هي الصواب وهــذا باطل لأنّ المفكر يحسب الواقع الصل في كلامهم الخطأ وقليلٌ منهم من يصيب يعني يصيب ويوافق الشـرع فهؤلاء المفكرون يجب عليهم أنْ لا يغــتروا وإذا رُدَّ عليهم أنْ يقبلوا إذا كـان ديـدن الجميع الحـق، وإذا كتب إليهم أو عنهم أو انتقدوا فإن المفكر يخطئ ويصـيب وخطـؤه كما ذكرنا في الغالب يعـني من حيث الواقع أكـثر من صـوابه وربما بعضهميكون صوابه أكثر من خطئه لكن في الغالب من لجأ إلى الفكر فإنّ أخطاءه كثيرة ولهذا يجب عليه أنْ لا يرتفع عن النقد وهــذا النقد له درجــات نقد قبل النشر ونقد بعد النشر فقبل النشر لابــدّ أنْ يعرضه فينقد ما كتب يعرضه على أهل العلم حـتى يقيمـوا كتابه ثم بعد النشر قد يكون فات الأول أشياء فينقد مرة أخـرى حـتى تكـون الكتابة سليمة غير مردودة فإذًا لابدّ عليه أنْ يرحب بالنقد.

أخـــيرًا العلم وما هو العلم، لا شك أنّ العلم هو الأصل والعلم ليس بحاجة إلى أنْ يفصل عنه فصـــلنا عن الفكر والعلم معلوم والعلماء معلومون فالعلم كما قال ابن القيم:

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة هم أولوا الفرقان
ما العلم نصبك للخلاف سفاهةً ... بين الرسول وبين رأي فلان

العلم هو فقه النصـــوص، العلم هو الرجـــوع بالمة إلى أهل الرسالة ألا وهو تلقي الكتاب والسـنة والعمل بـذلك وهـذا العلم هو الـذي تحتاجه الأمة وهو الـذي يحجب أنْ يسير به الناس أفرادًا وجماعات عـاملين للإسـلام أو غـير عاملين خاصة أم عامة فإن الجميع إذا رضخوا للعلم فإن العلم هو المرجع وهو الذي به تؤهل المة إلى أنْ تكـون قوية على أعدائها صـابية وراغبة وواصـلة إلى ما يـراد لها ومنها العلم ممدوح أهله مـدحهم الله جـلّ وعلا في كتابه ومـدحهم النـبي صـلّى الله عليه وسـلّم في سـنته وهـذا الحـديث عنه يطـول لكن من ذلك قوله جـلّ وعلا: {يرفع الله الذين ءامنوا والذين أتـوا العلم درجـات} معـنى هـذه الآية يرفع الله المؤمنين يعين من هم على مرتبة الإيمـان من أهل الإســـــلام هم مرفوعـــــون وأهل العلم من المؤمنين مرفوعون على غيرهم درجات {يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أتوا العلم درجات} فالذين أتـوا العلم مرفوعون بنص القرآن على غـيرهم درجـات فمن فضل مفكرا على عـالم أو اتبع مفكـرا على عـالم وجعل درجة المفكر فـوق درجة العـالم فـإنّ هـذا نـاقض هـذه الآية وخـالف هـذا الـذي جعله الله جـلّ وعلا منّ منه وتكرما فضلا لأهل العلم رفعا لدرجاتهم.

لابـدّ أنْ نعلم أنّ العلم منه محكم ومنه متشـابه وقد قـال جلّ وعلا: {هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعـون ما تشـابه منه ابتغـاء الفتنة وابتغـاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسـخون في العلم يقولـون آمنا به كل من عند ربنا} عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول

الله صـلّى الله عليه وسـلّم: ((إذا رأيتم الـذين يتبعـون ما تشـابه منه فأولئك الـذين سـمّى الله فاحـذروهم)) العلم منه محكم ومنه متشـــابه النصـــوص منها ما هو محكم ومنها ما هو متشـابه فـالمحكم منها الواضح الـبين الدلالة المتشـــابه هو الـــذي لا يفهمه إلاّ الراســـخون في العلم يحمل المتشـــابه وتـــرك المحكم أو لم يجعل المتشـــابه راجعًا إلى المحكم فإنه ممن سمى الله فاحذروهم ممن قـــال الله جـــلّ وعلا فيهم: {فأما الـــذين في قلـــوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغـاء الفتنة وابتغـاء تأويله} فـإذن العلمـــالمحكم فيه بين والمتشـــابه منه لا يدركه إلاّ أهل العلم، صنيع العلمـاء صـنيع الراسـخين في العلم التميـيز بين المحكم والمتشـــابه يســـتدل بالمحكمـــات ويصـــرف المتشـابهات إلى المحكمـات أما صـنيع المفكـرين صـنيع الجهلة أو صـــنيع القـــراء أو صـــنيع أهل الهـــوى فـــإنهم يســـتدلون بالمتشـــابهات ويـــتركون المحكمـــات، يســـتدل بالمتشـابه من السـنن يسـتدل بالمتشـابه من الآيـات فلا غرابة إذن أن استدل الخوارج على بدعهم بالقرآن والسنة لا غرابة أن اســـتدل المعتزلة على بـــدعتهم وضـــلالهم بالكتـاب والسـنة لا غرابة أن اسـتدل الجهمية والصـوفية على ضـــلالاتهم بالكتـــاب والســـنة لأنهم لم يســـتدلوا بالمحكمات وإنما استدلوا بالمتشـابهات والعلم لو لم يكن فيه المتشـــابه لتعاطـــاه كل أحد ولم يفن فيه أهل العلم أعمـارهم حـتى يفقهـوا مـراد الله جـلّ وعلا من كلامه والمتشـابه والمحكم لناله كل واحد وهـذا لا يكـون فإنما العلم للراسـخين في العلم الـذي اسـتوعبوا حيـاتهم فيه وعرفـــوا مـــدلولات النصـــوص، المفكـــرون في العص

الحاضر ما صـنيعهم في الواقع أنّ الكـثرة الكـاثرة منهم إنما يستدلون بالمتشابهات صـحيح عنـدهم أدلة وشـواهد وأقـوال وحكايـات ولكنها إذا نظـرت إلى ما جـاءوا به من القـرآن والسـنة فقليل منه ما هو صـحيح الاسـتدلال ومنه وهو الأكثر ما هو من المتشابه مما يشـتبه هـذا منه بـذاك وهذا يضل الأمة ويجعلها في انحرافـات فكرية وسـلوكية وعقدية وأجيـــال تتبع أجيـــال في انحرافـــات وأفهـــام ومفاهيم إنما كـان نتاجها اتبـاع المتشـابه وتـرك المحكم العلم هو التفريق بين المحكم والمتشـابه والعلمـاء هم الذين يعلمـون المتشـابه ويعلمـون المحكم وليس كـذلك المفكـــرون ولهـــذا فإنه ينبغي أنْ تعلم يقينا أنه ليس كل من اســـتدل على شـــيء بكلام الله جـــلّ وعلا أو بكلام رسوله أنْ يكـون صـحيحا في نفس الأمر والبعد من ذلك أنْ يستدل المفكر على ما يريد بحدث تـاريخي أو يسـتدل بواقع أو يستدل بتحليلات أو يستدل برأي أو يستدل بقـول عـالم مضى أو بفعله فـإنّ هـذا إيغـال في البعد لأنه في أفعال أولئك وفي أقـوالهم ما هو متشـابه من بـاب أولى فإذا كان في كلام الله وكلام رسـوله ما هو متشـابه فمن بـــاب أولى أنْ يكـــون في كلام بعض أهل العلم وفي أفعـالهم وتصـرفاتهم وتقسـيماتهم ما هو من المتشـابه فلهـــــذا تجد أنّ من المفكـــــرين من يحيل على بعض المتقدمين ويحلل أو ينقل واقعة أو ينقل كلام بعض أهل العلم وينقل من الكتب إلخ وإنما هو كلام فكـــــري لأنه استدلال بالمتشابه وهو سمة أهل الرأي وأهل الفكر.

ثمرة العلم، العلم له ثمرة عظيمة وأول ثمراته سلامة التدين فالمفكر الإسلامية كما يقولون إنما يريد أنْ يحمل النـاس على التدين أو أنْ يجعلهم كما يقولون في تصور إسلامي صحيح وهـذا ليس نتيجـةً حتمية بل إنه في النتيجة الغالبة أنْ لا يكـون كـذلك لكن العلم يحمل على سـلامة التـدين لأنّ العلم إذا اخذ بقواعـــده وأدلته وأصـــوله على منهج السـلف الصـالح فإنه يحمل على سـلامة التـدين وسـلامة الاعتقــاد وســلامة التصــرف وســلامة النظر وســلامة التعـــاملات المختلفة مع الواقع مع النفس مع الأهل مع جميع الأحوال والمستجتدات.

أما الفكر والرأي فهو متقلب ولذلك تجد أنّ النــاس لما لم يكن العلم حكما عليهم فـــإنهم كلما جـــدت لهم حادثة انتظـروا الأفكـار، انتظـروا الأقـوال فتظهر أفكـار عشـرة، عشــرين في الواقعة الواحــدة وكــلّ يحلل بنفسه فتجد التفرقــات وفي المجلس الواحد يتنــوع الأربعة إلى أربعة أقــوال وهــذا رُوي وســيرى ما دام أنّ الفكر هو المرجع وأما إذا جعلنا العلم هو المرجع فإنه يسضـــــيق الخلاف سيضـيق حـتى يكـون النـاس على تـدين صـحيح ونظر صحيح.

أخيرا من ثمرات العلم أنّ العلم يجمع والفكر يفرِّق وهذه من كلمات مفتي الديار السعودية في زمنه الشيخ العلامة محمد بن إبـــــــراهيم رحمه الله فإنه في وقته لما رأى انسياق النـاس إلى الثقافـات في آخر زمنه وتـرك النـاس للعلم قبل أنْ تعرف الجماعات وقبل أنْ تعـرف الطوائف والفئـات في هـذه البلاد قـال تلك الكلمة لبعض خاصـته

ولبعض طلبة العلم فقال: ((أوصوا الناس بالعلم فإنّ العلم يجمع وإنّ الفكر والثقافة تفرق)) وهذا صحيح وقد رؤي ذلك فالعلم هو الذي يجمع والثقافة تفرق إذا نظرت إذا اختلفت مع آخر في مسألة وكان المرجع فيها هو العلم يرضخ الجميع خذ مسألة فقهية قلت: والله الظاهر أنّ الحكم فيها كذا، والآخر يقول لا الظاهر أنّ الحكم فيها كذا، فرجعتهم إلى عالم فقال قولا اتفقتم على صحة قوله فاجتمعتم بعد اختلاف في الراي في تلك المسألة، الاختلاف في الفقهيات أمره سهل لكن كيف إذا كان الاختلاف في مسائل أعظم من ذلك، في مسائل تتعلق بمصير الأمة، بمصير دعوة، بالإصلاح بالأمر والنهي إلخ ذلك في الجهاد ونحو هذه الأمور، فإنّ الاختلاف إذا وقع دون الرجوع إلى أهل العلم بشر بالتفرق والمة أخذ عليها الميثاق أنْ تتبع الرسول عليه الصلاة والسلام كما أُخذ على من قبلنا أنْ يتبعوا رسولهم أو أنْ يتبعوا رسلهم عليهم السلام وقد قال جلّ وعلا في النصارى: {ومن الذين قالوا إنّا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرين بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة} أخذ عليهم الميثاق أنْ يتبعوا العلم وأنْ يتركوا الرأي فما الذي صنعوا كما قال ابن شهاب الزهري: ((إنّ اليهود والنصارى ما ضلت إلاّ بالرأي)) أخذ على النصارى الميثاق أنْ يتبعوا العلم، أن يتبعوا ما ذُكِّروا به وأخذوا بالرأي فما الذي حصل تفرّقوا والتفرق عقوبة من العقوبات قال جلّ وعلا: {ومن الذين قالوا إنّا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا -يعني تركوا- حظا مما ذُكِّروا به} -من العلم- فأخذوا بالآراء والأهواء وفتفرقوا قال جلّ

وعلا: {فأغرينا بينهم العداوة والبغضـاء إلى يـوم القيامة} التفــرق ليس مجــرد فرقة لكن التفــرق ســيتبعه بغضا وسيتبعه شحناء وسيتبعه بغض حتى يكون بغضا في الله من أجل التفرق وسـبب التفـرق هو عـدم أخذ العلم في الأصل واتباع الآراء، فالعلم جامع والثقافة والفكر تفرق، وهذا واضح في تـاريخ الأمة وتـاريخ ما حصل في العصر الحديث من أنواع التفرقات في الأفكـار والمفـاهيم وفي الفئـات والجماعـات حـتى في العـداوات بين المفكـرين والكتاب واتخاذ نشأة المدارس المختلفة.

نلخص فنقول الفروق بين العلم والفكر والفرق بين العلم والفكر؟ العلم أدلته منضبطة أدلته معلومة هي ثلاثة عشر دليلا وبالتفصيل عشـرون دليلا كما ذكر ذلك القـرافي في كتبه الأصولية، أما الفكر فأدلته غير منضـبطة الفكر سـيَّاح ترى مرة من أدلة المفكر حدث تـاريخي ويسـتدل به على الحكم على نازلة وواقعة من الواقعـات الـتي تحصل في هذا الـزمن مـتى كـان التـاريخ دليلا؟ يـأتي مفكر فيقـول أهل بلد من البلاد كما ذكر المؤرخـــون أهل بلد من البلاد انصرفوا لما قلّ الخبز وكثر الجوع أو نحو ذلك بـأن قـاموا بمظاهرات عارمة فهذا أصل من أصول جواز المظاهرات في الإسلام حتى كان الاستدلال بمثل هـذه الأشـياء دليلا هذا فكر رأي وهـذا الفكر غـير صـائب وهـذا الـرأي غـير صائب لأنه استدلال بتاريخ والفكر غير منضبط الفكر سيّاح ممكن أنْ أقول أي كلمة وأستدل عليها بـأي شـيء ولكن الكلام ليس في أنْ تقـــول تعليلا وتفســـيرا لرأيك لكن الكلام أنْ يكــون هــذا التفســير وهــذا التعليل مقبــولاً

صحيحًا، يأتي آخر فيستدل بأنّ أهل الحديث تنكّبوا عن الصناعات وتنكبوا عن الدخول في الإنتاج العلمي وقال إنه في تاريخ المسلمين ما أنتج التقدم ولا الحضارة ولا الاكتشـــفات ولا أثـــرى المكتبة إلاّ أصـــحاب العقل أي العقلانيون، فهم الذين شجعوا الصناعة وشجعوا الأفكار الحضارية وتقدموا وانتجوا الطب والرياضيات إلخ فلا يعرف في المحدين من كان كذلك فهذا دليل على أنّ مدرسة أهل الحديث مدرسة قاصرة عن أنْ تقود الأمة والمدرسة السلفية قاصرة عن أنْ تقود الأمة نعم هم في الأحكام في آراء لكن فيما نفع به الناس الأمة فإنما هم كالمعتزلة فالمعتزلة هم الحقيقون بقيادة المة في الزمن الماضي وفي الزمن الحاضر فالأفكار العقلانية هي التي تتقدم بالأمة وأما المحدثون أو الفقهاء فإنما هم مجرد وعاظ هذا حدث تاريخي أو تحليل تاريخي يستدل به ذاك على إبطال أصل من الأصول ودليل من الأدلة الـــذي فيه أنّ الفرقة الناجية إنما هم أهل الســـنة والجماعة وهم أهل العلم، وجود أولئك يحكم عليه أهل العلم هل هو جائز أم غير جائز، الصناعات لا يحرمها أهل العلم، والمعطيات الحضارية لا يحرمها أهل العلم ومن حرمها فلقصور نظره أو لبعده عن فهم مقاصد الشرع فأولئك يحكمون هم أطباء للقلوب، سائرون بالناس إلى الدار الآخرة فمن وجد ليقوِّم الحياة الدنيا ويعطي معطيات حضارية وصناعية واكتشافات طب وهندسة، وضوابط كيمائية وفيزيائية وفلكية في الأمة إلى آخره هذا إنما يحكم على فعله هل فعله صحيح أم غير صـــحيح ولا يعـــني أنّ ما ذكر من أنهم هم القـــادة بل

القيادة معروفة إنما هي في الدين لأهل العلم لهـذا ذلك الاستدلال الفكري هذا سيّاح غير منضبط، اسـتدل بشـيء من التاريخ في إبطال أصل من الأصول الشرعية وهنـاك من يقتنع بذلك ويردده في هذه المسألة.
الثاني من الفـروق: أنّ العلم له أصـول يـوزن بها والفكر ليس له أصل يـــوزن بها إذا تكلم أحد في مســـألة علمية فتستطيع أنْ تزن هل كلامه مقبول أم غـير مقبـول؟ هل كلامه قــوي أم غـير قــوي؟ أما الفكر فما ضـوابطه؟ ما أصـوله؟ أريد أنْ أزن كلاما فكريا يعـني من عامة النـاس فــيزن بــأي شــيء؟ لا يســتطيع أن يصل إلى مــوازين معروفـة، فـالعلم له موازينهوأما الفكر فإنه غـير منضـبط وليس له موازين وأصـول يُقيِّم بها إلاّ الرجـوع إلى العلم فإنه هو الحكم عليه، العلم الأصل فيه المدح والأصل في أهله المدح وأما الفكر فهو الرأي والـرأي الأصل فيه الـذم وهذا فرقٌ عظيمٌ بين الأمرين.
الرابع: العلم حاكم على الفكر حاكم على الأفكار والـرأي والفكر محكوم عليه وهذا فرق مهم بين هذا وذاك.
الخـامس: وهـذا تلخيص لما سـبق العلم جـامع ويجمع الأمة ويبذ الفرقـــة، ويقلل الاختلاف ويقلل المـــدارس المختلفـــة، أما الفكر والـــرأي فإنه يفـــرق ويزيد من المــدارس ويزيد من الاختلاف وهــذا الاختلاف وكــثرة المدارس تنتج تحزبات تنتج آراءًا يتبعها مواقف شتى.
آخر كلمة في هذا البيان أنّ ما ذكر نريد منه الوصـول إلى نتيجة مهمة ألا وهي أنّ العلمـــــاء في دين الأمة وفي مواقفها هم القــادة هم الــذين يُبيِّنــون للنــاس ما يحل ويحـرم؟ ما ينبغي اتخـاذه وما لا ينبغي اتخـاذه، ما يجـوز

وما لا يجوز كيف تتخذ المواقف كيف يحكم على الأوضاع، على الأفكار إلخ العلماء هم المؤهلون لذلك هم المرجع في أمور الـدعوة هم المرجع عند الاختلاف، هم القـادة، وهم الدعاة يعـني في أمر الـدين، فـإذا كـان المفكـرون هم قــادة الــدعوات، وإذا كــان المفكــرون هم رؤســاء الجماعـات فإنه لا شك سـينتج.... الجماعـات والمـدارس في بعض البلاد كيف آلى بهم الأمر يعادي بعضهم بعضًــا وأن يقتل بعضـهم بعضا -نسـأل الله جـلّ وعلا السـلامة والعافية- إذًا المفكـرون لا يصـلحوا أنْ يكونـوا قـادة في أمر الــدين لا يصــلحون أنْ يكونــوا حكامًا على الأوضــاع حكامًا على الآراء حكاما على أهل العلم، المفكـــرون لا يجــوز أنْ يتحكمــوا في مصــير دعــوة الله ودعــوة الله مرجعها الكتاب والسـنة والـذين يفقهـون الكتـاب والسـنة هم الذين يتأهلون لأن يقودوا الدعوة، فالمفكر ينبغي أنْ يقف عند ما حـدّ له فـإذا جـاوز ذلك فـإنّ مجاوزته عليه لا لــه، المفكر لا يصــلح له أنْ يقيِّم المصــالح والمفاسد لا يصلح أنْ يعرض بفكره المصالح والمفاسد، فيقول هـذه هي المصلحة وهذه هي المفسدة، يقيم وضعًا اجتماعيًا يقيِّم دولة يقيم موقفا من المواقف، ويقول المصلحة في كذا والمفسـدة في كـذا ما دليلك على ذلـك؟ والله هكـذا نـرى هكـذا أدى إليه الـرّأي والفكـر، لا يجـوز للمفكر أنْ يكون كذلك وإنما من يقيِّم المصلحة والمفسـدة هم أهل الشــرع لأنّ الشــريعة كما قــال شــيخ الإســلام ابن تيمية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها ودرء المفاسد وتقليلها، إذًا مــتى يصح من المفكر أنْ يفكر وأنْ يكتب؟ إذا كــان محكوما بالعلم.

وفي النهاية نصـــــيحة موجهة إلى شـــــباب الأمة وإلى المفكرين وإلى أهل العلم أنْ يقومـوا بـواجب العلم وأنْ يقيمـوا الأمة على العلم وأنْ يوسـعوا قاعـدة العلم لأنّ الأمة أشد ما تكـون حاجة إلى العلم والعلم هو القاعـدة قـرّر ذلك جمع من العقلاءن والمفكـرين بعد أهل العلم فـالجميع متفق على أنّ القاعـدة الـتي تنطلق منها الأمة هي العلم ولكن من الـذي يأخذ بـذلك النـاس بحاجة إلى العلم ولكن من الـذي يأخذ بـذلك، النـاس بحاجـدة إلى العلم بحاجة إلى من يـرجعهم إليه من يبينه لهم إلخ ذلك الفكر والكتابـــات الفكرية لابـــدّ أنْ تقيمها لا تعتمد على أفكـــار الكتـــاب، لا تكن قراءتك في الكتب الفكرية هي الغالبة عليك في يومك وليلتـك، إنما ليكن الغـالب العلم، لأنّ العلم هو الذي ينور الصدور، أما الفكر فإنما هو رأي، وإذا جعلت العلم هو الأصل كـــــــــان الفكر في مكانه الصـحيح وكنت سـائرا بتثقيف وبفكر يمكن أنْ تخـوض به فيما يخاض به في المجتمع من الأفكار والأقوال لكن إنْ كان علمك قليلاً فإنك تكون ريشة في مهب ريـاح الأفكـار وهذا لا شك يقود إلى خللٍ في الفكر وخلل في التفكير.
كتابـات المفكـرين الـذين يكتبـون الكتابـات المختلفة من الموجـودين المعاصـرين أو ممن توفـاهم الله جـلّ وعلا يجب أنْ تضعهم في مكانهم الصـحيح وأنء لا تكـون تلك الكتابـات حَكما ولا مدرسة ولا قيـادة وإنما هي شـواهد وإنما هي أفكار يقبل منها ويرد.
هـذا وأسـأل الله جـلّ وعلا أنْ يجعلنا وإيـاكم من الـدعاة إلى سبيله وأنْ يختم لنا بالحسنى، وأنْ يجعلنا ممن رضي عنهم وأرضاهم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.